تعدد الرواة في رواية الحداثة

(روايات يوسف القعيد نموذجاً)

إعداد

فاطمة حسن محمد يوسف

باحثة دكتوراه بقسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة أسوان

الملخص:

يدور هذا البحث حول تعدد الرواة فى رواية الحداثة(روايات يوسف القعيد نموذجاً). فالراوي هو الذي يمسك بخيوط عملية الحكي، ويعبر عن وجهة نظر الكاتب في رأيه وتصور مختلف عن الآخر؛ ليعطي ثراءً كبيرًا للعمل، وذلك من خلال الحوار والمونولوج الداخلي للشخصيات، فبذلك يكون الراوي هو الشخصية التي لها مقوماتها؛ ليستخدمها الكاتب لعرض وجهة نظره وآرائه ففي رواية الحرب في بر مصر نجد شخصية الشهيد مصري ليس له فصل فى الرواية إنما نتعرف عليها من ضمير الشخصيات الأخرى. كالمتعهد والعمدة والمحقق والخفير والضابط والصديق، وفى رواية الحداد ويتم سرد الأحداث من خلال أربعة رواة هم: عيشة، وحسن الأعرج، وزهران، وحامد، حيث تعبر كل شخصية عن وجهة نظرها في سرد الأحداث حول مقتل منصور أبو الليل. أما رواية قسمة تأتى عبر أصوات الرواة ماجد ومهرة مصطفى وعبود مرام وذلك من خلال الأزمات التي تعيشها شخوص الرواية: كالخوف، والحرمان، وتردي الأوضاع الاقتصادية الذي يؤدي بدوره إلى انحدار القيم والمبادئ والعوز والحاجة إلى المال.

الكلمات المفتاحية: تعدد الرواة، الحرب فى بر مصر، الحداد، قسمة الغرماء.

This research revolves around the multiplicity of narrators in the modernist novel (the novels of Yusuf al-Qa'id as an example). The narrator is the one who holds the threads of the narration process, and expresses the writer's point of view, his opinion and perception different from the other; To give great richness to the work, through the dialogue and internal monologue of the characters, so the narrator is the character who has his own characteristics. For the writer to use it to present his point of view and opinions. In the novel The War in Mainland Egypt, we find the character of the Egyptian martyr. He does not have a chapter in the novel, but we get to know him from the conscience of the other characters. Such as the contractor, the mayor, the investigator, the guard, the officer, and the friend. In the novel Al-Haddad, the events are narrated through four narrators: Aisha, Hassan Al-Araj، Zahran and Hamed, where each character expresses his point of view in narrating the events surrounding the killing of Mansour Abu Al-Lail. As for Qisma's novel, it comes through the voices of narrators Majid, Mahra Mustafa, and Aboud Maram, through the crises that the novel's characters experience: such as fear, deprivation, and the deterioration of economic conditions, which in turn leads to a decline in values and principles, destitution, and the need for money.

Keywords: multiple narrators, war in mainland Egypt, mourning, dividing debtors.

المقدمة:

يعد تيار الوعى من أهم المدارس الأدبية التى ظهرت فى القرن العشرين ، وجذبت نحوها كثير من المبدعين فى فنى الرواية والقصة القصيرة ويعرف روبرت همفرى تيار الوعى بأنه " نوع من القصص يركز فيه أساساً على ارتياد مستويات ماقبل الكلام من الوعى بهدف الكشف عن الكيان النفسى للشخصيات "[١]. فيعد تيار الوعى من خلال هذا التعريف هو ملاحظة أفكار الشخصية ورصد حديثها الذاتي وانسيابها ، وذلك قبل أن تتوصل الشخصية إإلي نتيجة أو قرار ولم يكن هذا الحديث ليلغي موضوعية الأحداث خارج الذات ، وإنما ليسير في خط مواز للأحداث الخارجيه ويتم ذلك عن طريق عملية الحكى فاالراوي هو الذي يمسك بخيوط عملية الحكي، ويعبر عن وجهة نظر الكاتب في رأيه وتصور مختلف عن الآخر؛ ليعطي ثراءً كبيرًا للعمل، وذلك من خلال الحوار والمونولوج الداخلي للشخصيات، فبذلك يكون الراوي هو الشخصية التي لها مقوماتها؛ ليستخدمها الكاتب لعرض وجهة نظره وآرائه، فالراوي" هو أداة للإدراك والوعي، وأداة للعرض، بالإضافة إلى ذلك فإنه ذاته له مقوماته الشخصية التي تؤثر إيجابًا وسلبًا على طريقة الإدراك أو على طريقة العرض"[٢].

فكل شخصية في العمل الروائي لها كيانها المُستقل الذي يبرر وجودها وسلوكها ووجهه نظرها؛ حتى تعطي العمل الروائي قوته، وتكمن قوه الروائي "في أنه يخترع وأنه يخترع بحرية دون تقيد بنموذج أو مثل وذلك ما يميز الرواية الحديثة"[٣].فتعدد أنماط الرواة فهناك الراوى المشارك والراوى الغائب والراوى المتعدد ونحن بصدد هذه الدراسة نتناول نمط الراوى المتعدد فى روايات (الحرب فى بر مصر والحداد

---

[١] روبرت همفرى ت،د/ محمود الربيعى:تيار الوعى فى الرواية الحديثة، المركز القومى للترجمة ،القاهرة د.ط،٢٠١٥، ،ص٢٢.

[٢] د.عبدالرحيم الكردي: **الراوي والنص القصصي**، دار النشر للجامعات، ط ٢، القاهرة، ١٩٩٦، ص١٨.

[٣] آلان روب جرييه: **نحو رواية جديدة**، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، ط ٢، القاهره، ١٩٩٨، ص ٣٩.

وقسمة الغرماء) ليوسف القعيد والهدف من هذا البحث هو كيف أثر تعدد الرواة فى تيار وعى الشخصيات .

تعدد الرواة فى رواية الحداثة (روايات يوسف القعيد) نموذجاَ:

يطرح الروائي عدة قضايا سياسية أو اجتماعية أو ثقافية وذلك من خلال الرواة؛ للتعبير عن وجهه نظرهم وذلك من خلال الراوي الغائب أو المشارك أو المتُعدد، وسوف نتناول في هذه الدراسة هذا النمط من الرواة هو الراوي المتُعدد "أكثر أنواع الرواة جدة وأشدها ملاءمة لطبيعة قص الحداثة لذلك لا نجده بشكل واضح إلا في مرحلة معاصرة متأخرة، وعندنا كتاب تجاوزوا الثقافة المحلية، واطلعوا على نماذج عالمية تهتم بهذه النوعية، وهذه التُعددية تؤدي إلى قدر من تعادل النفوذ الفني في عرض وجهات النظر"[١].

ووجهات النظر تتم بناءً على روايات تحكيها شخصيات، فيضيف كل راو رؤية مُغايرة عن الآخر، ففي رواية الحرب في بر مصر ليوسف القعيد نجد شخصية الشهيد مصري التى نتعرف عليها من ضمير الشخصيات الأخرى. كالمتعهد والعمدة والمحقق والخفير والضابط والصديق

فهو الشخصية الرئيسة التي تدور حولها الأحداث فالأحداث تحكى من وحي شخصيات ست، تقدم رؤى مختلفة. وهذه الرؤى تكون مكملة لبعضها فرواية الحرب في بر مصر هي "تقنية تجريبية تدلل على وعي الروائي بطبيعة عمله الفني، وتشير إلى صراع الذاتيات، ومن ثم إلى الصراع في البلد"[٢].

يكشف لنا الكاتب يوسف القعيد من خلال الرواة المتُعددين الصراع الداخلي للشخصيات وموقف كل راو منهم تجاه موضوع مصري الذي استشهد مدافعًا عن الأرض، فالرواة هم العمدة، والمُتعهد، والخفير، والصديق، والضابط، والمًحقق، كل

---

[١] د.طه وادي: **الرواية السياسية**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة،ط٢٠٠٢،١ص١٧٨.

[٢] فدوي مالطي دوجلاس، **من التراث إلى ما بعد الحداثة**، المركز القومي للترجمة، ط٢٠٠٩،٢، ص٣٣٧

راو يروي الأحداث من وجهة نظره حسب ما يراها كل شخص على حدة، بل إن كل شخصية تضيف لهذا الموقف أبعادًا جديدة قد لا تكون الشخوص أخرى تعرفها، مُستخدمًا الكاتب في ذلك ضمير المتكلم أثناء السرد، ليبرز تيار وعي المتكلم فنجد العمدة الراوي الأول من فكرة الدفاع عن أرض مصر، وذلك بتهربه من تجنيد ابنه، واختيار البديل وهو مصري ويعطي مبرراته الواهية لذلك بقوله:"لا بد وأن تعرف أنني الآن عمدة. كان والدي يقول: إنه لو ذهب أحد منا إلى الجهادية لاهتزت شجرة العائلة، وتقوست، واقتربت من الأرض، ولما كان عمر هذه الشجرة يعود إلى زمن المماليك والأتراك في مصر، فلا يصبح من حقي العبث به"[١].

والعمدة بذلك وجد الطريق الذي يساعده في إعفاء ابنه من التجنيد، وهو المتعهد الراوي الثاني للأحداث، والعقل المُدبر لهذه الجريمة، يقول الراوي: "كلمة المتعهد أتت من العهدةأو من التعهد بشيء، وأنا عهدتي مصالح الناس التي يعجزون عن القبام بها أو إنهائها في مصالح الحكومة الصعبة أو المعقدة، وأنا عندما أحل المشاكل التي تسبب للناس الارتباك والحزن والخوف. أتصور أنني لا أقل عن الزناتي خليفة، أو أدهم الشرقاوي"[٢].

يصور الكاتب الراوي بأنه الزناتي خليفة أو أدهم الشرقاوي وينجح في استخدام الزناتي خليفة وأدهم الشرقاوي في التشبيه لما له من موروث دلالي في القدرة على فعل المستحيل، ثم ينتقل إلى راو آخر ليضيف للحدث بعدًا آخر لم يضفه العمدة، فالخفير الأب المكلوم البائس الذي يتعرف المتلقي بمصري عن قرب، من خلاله ويقدم الكاتب لمحة عن طبيعة الواقع الحياتي للخفير بقوله: "ضربة على الباب جعلتني أقول ليرتاح الناس إذن. كان الكل يتكلم عن مصري كيف يتفوق ابن رجل فقي؟ من أين يأتيه الذكاء؟ وممن ورث العقل؟ قالت لي أم مصري منذ أيام إن

---

[١] يوسف القعيد: **الحرب في بر مصر**، دار الشروق، القاهرة،ط٢٠٠٨،١ص ١٥.

[٢] **الحرب فى بر مصر**، ص٣٧.

الكعكة في يد اليتيم أمر عجيب، مصري حكايته غريبة بعد حصوله على الشهادة الإعدادية احترت"[١].

إن شخصية الأب في هذه الرواية هي دلالة رمزية على الانكسار فينساب تيار وعي الخفير؛ حيث الضربة على الباب تداعت في ذهنه ذكريات مصري منذ حصوله على الشهادة الإعدادية، ورغبته في الحصول على الشهادة الثانوية، ثم ينتقل الكاتب من خلال الحوار السردي بين الأب والأم بقوله: قالت لي أم مصري ثم ينتقل إلى الحاضر في نفس اللحظة مصري حكايته غريبة.

هذه الانتقالات بين الماضي والحاضر وانسياب السرد هي من سمات تيار الوعي في الرواية، وبالرغم من تُعدد الرواة ليس هناك راو يستأثر بدور البطولة، ويؤكد ذلك دور الصديق الذي يكشف لنا شخصية مصري أكثر حتى تزداد صورته وضوحًا فيقول:" لم أكن أعرف مصري قبل التجنيد، كل ما أقوله يدخل في باب اجتهادي الشخصي، مصري كان حظه سيئًا، لكل جيل قدره، وقدر جيلنا نحن أبناء مصر كان ..هل أكمل؟ كان الطموح أكبر من الإمكانات. وضعنا الأقدام فلم نجد تحتها أرضًا.ورفعنا الرؤوس؛ لنلامس السحاب فاختفت السماء من فوقنا. الكلمات السابقة كتبت بمنطق التداعي وليس بقصد مني"[٢].

بمنطق التداعي يكشف لنا الكاتب عن عالم الشخصية الباطني؛ حيث إن مصري لا يمثل شخصًا واحدًا فقط، وإنما يمثل جيلًا كاملًا، وهو التجسيد الواقعي والحقيقي لهموم هذا الجيل، ثم يكمل سرد الأحداث من خلال مقطع حواري بين مصري والصديق بقوله":

صرخت فيه،

ولكن مشكلتك؟

قال لي:

---

[١] **المصدر السابق**، ص ٧٩.

[٢] **الحرب في بر مصر**، ص١٠٠.

كل المشاكل والقضايا من الممكن أن تنتظر أيامًا وشهورًا وأعوامًا، ولكن تحرير الأرض لم يُعد ينتظر أكثر من هذا"[١].

من خلال المقطع الحواري يعلو صوت مصرى الشخصية المحورية وبحس وطني وبصورة تأمل يوضح لنا الراوي موقفه من الدفاع عن الأرض بقوله: لكن تحرير الأرض لم يُعد ينتظر أكثر من هذا على الرغم من مشكلته التي كان من المفترض أن يحكيها للقائد عن استبداله بابن العمدة؛ حتى يستريح ضميره، ويبلغ الوعي عند مصري بالدفاع عن الأرض درجه عالية من النضج بقوله: على لسان الراوي إنه: "في الظروف العادية هناك ألف فارق بينه وبين ابن العمدة، الآن أصبح الكل واحدًا، فوارق الاسم والرسم والملامح لم يُعد لها أي قيمة الآن، لا بد وأن ينال شرف تحرير مصر. ليس مهمًا بأي اسم ولا بأي صفة ولكنها فرصة"[٢].

ويستشهد مصري مُدافعًا عن تراب مصر، ويصبح هذا الاستشهاد سببًا في تطور أحداث الرواية، ويشكل بقضية الدفاع عن الوطن أحد الملامح الأساسية للسمات الفكرية للشخصية. ليس مهمًا بأي اسم ولا بأي صفة.ولكنها فرصة.

وبعد الاستشهاد يأتي دور الضابط والمحقق في الرواية؛ ليساعدا في تقدم الحدث والوصول إلى الحقيقة، فالضابط يقول: "رجل واحد اقترب مني، وأنا أحاول الصعود إلى السيارة. أفهمني الأمر. أرسل العمدة ابن الخفير بدلًا من ابنه إلى الجهادية"[٣]، وهنا تتكشف الحقائق ثم يتبع ذلك بقوله: "وضعتني كلمات الرجل أمام جريمة متكاملة الأركان شعرت أن يدي ملوثتان بدم الجثة الموجودة في الصندوق. عليّ أن أتصرف كانت الجريمة من نوع فريد ومبتكر.ليست سرقة أو قتلًا أو حتى تزويرًا في أوراق رسمية، جريمة لم يخترع لها اسم بعد "[٤].

---

[١] **الحرب في بر مصر**، ص ١٠٧.

[٢] **المصدر السابق**، ص ١٠٨.

[٣] **الحرب في بر مصر**، ص ١٤١.

[٤] **المصدر السابق**، ص ١٤١.

ينقل لنا الراوي في هذا المقطع الحقيقة كاملة بصورة لا تنقصها براعة التعبير ودقته؛ حيث إننا أمام جريمة لم يخترع لها اسم، ويأتي في النهاية دور المحقق الراوي لسرد فصل آخرمن الرواية:

"من ناحيتي كان موقفي المبدئي أنه لا بد من المضي في التحقيق إلى نهايته الطبيعية، مهما كانت الظروف. المسألة أنه بين يدي قضية كاملة الأركان كان يجب.ولكن المشكلة تكمن في كلمة يجب هذه من منا يملك حق استخدامها ضمن مفردات لغته اليومية"[١].

نجح الكاتب في توظيف دور المحقق؛ لكي يضع يده على حقيقه كاملة وذلك من خلال تُعدد الشهود في الرواية، فلو اعتمد المحقق على شاهد واحد لم تكتمل الحقيقة لكنه استمع إلى أكثر من راو؛ حتى تكتمل أركان الحكاية حيث إن إسناد القعيد لدور المحقق في الرواية إنما يُعد معادلًا موضوعيًا لتُعدد الرواة. فييقترب القعيد بذلك في تناوله لتُعدد الرواة من فرجينا، وولف، فعندما نقرأ روايات القعيد نلحظ تأثره بتيار الوعي في الرواية الغربية، فقد قدمت فرجينا وولف في رواية الأمواج عام ١٩٣١؛ شخصياتها بعمق، وهم ستة أشخاص بيرنارد، ولوبين، ونبفبل، وجيني، وسوزان، ورودا، والشخصية السابعة برسيفال لا يسمع القارئ هذه الشخصية بصوتها ولكن من خلال حديث الآخرين عنها، وهذا ما نلاحظه في رواية الحرب في بر مصر؛ حيث تتألف الرواية من ست شخصيات و السابعة هي مصري التي يتعرفها القارئ من خلال وعي الشخصيات الأخرى، واستخدمت هذه التقنية أيضًا في رواية أخبار عزبة المنيسي والحداد وكذلك أيضًا في رواية إلى المنار لفرجينياوولف " نعرف السيدة رامزي الشخصية الرئيسة عن طريق تتبع شعورها من ناحية وتيار شعور الشخصيات الأخرى التي تلاحقها وتتعامل معها من ناحية أخرى"[٢].

---

[١] **المصدر السابق**، ص ١٦٦.

[٢] د/ إنجيل بطرس سمعان: **بين الروائي والرواية**، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٢، مكتبة جامعة القاهرة، ص٢٨٩.

وتأتي رواية الحداد ليوسف القعيد برؤية مغايرة وهي الأخذ بالثأر، محور الرواية وهو موروث قديم في القرية المصرية، ويتم سرد الأحداث من خلال أربعة رواة هم: عيشة، وحسن الأعرج، وزهران، وحامد، حيث تعبر كل شخصية عن وجهة نظرها في سرد الأحداث حول مقتل منصور أبو الليل فيأتي دور الراوي الأول بقوله:

"لا...

لن تدفنوه أبدًا

لن يواري في التراب حتى بأخذ بثأره أولًا

وتقولون أن سترة الميت دفنه. إنه لم يمت. لقد قتل.من الذين قتلوه؟ لا أدري ولا حتى حسن الأعرج الذي كان معه في الحقل"[١].

يكشف لنا الكاتب من خلال تيار الوعي للراوي عن أحداث الرواية وتطورها ومدى إصرار الابنة على الأخذ بالثأر؛ لمقتل والدها حيث تبدأ رحلة البحث عن القاتل، وتلح على ذهنها العديد من التساؤلات حول معرفة القاتل ونظرة الشك في كل من حولها، واستخدام الكاتب أسلوب التساؤل إنما يرمز إلى الشك والحيرة التي تنتابها وعدم معرفة القاتل يزيد خيوط المَأْساة تعقيدًا على مدى الخط الرئيس في الرواية، ويجسد إنفعالات الشخصية كما يبرز لنا هذا الصراع من خلال تيار وعي الراوي بقوله:

"رايحه فين يا بت ياعيشة؟

صوت شيخ الغفر، جبناء الأمس غدوا أبطال اليوم فكيف حدث هذا؟

ذاهبة إلى والدي.

ممنوع.

من إيه؟

ممنووووع، أنا بتكلم عربي.

---

[١] يوسف القعيد:**الحداد، رواية**،منشورات كتاب الطليعة، القاهرة، ١٩٦٩. ص ٤.

وتلك بداية الإهانات يا أبي رفعت الديدان رؤوسها من وسط الطين. لن أضعف أمام أي منهم. لن أتوسل إليك، أنا ابنتك أنت، ابنة الحاج منصور أبو الليل"[١]

في هذا المشهد هناك تعدد مستويات للحوار مستوى خارجي في الكلام وهو الرد المباشر بقوله من إيه؟ ومستوى داخلي وهو شعور تيار وعي عيشة تجاه شيخ الغفر، وتداعي المعاني في ذهنها بين الماضي والحاضر في وقت واحد، تلك بداية الإهانات يا أبي، رفعت الديدان رؤوسها من وسط الطين، ثم يستكمل الراوي حالة التمزق، والصراع النفسي بقوله: "توفي اليوم إلى رحمة الله تعالى.

تعرفي أنا سميتك عيشة ليه؟

كنت صغيرة، كان الليل يسقط على قريتنا كرداء سميك.

وأنا إيش عرفني؟"[٢].

استطاع الكاتب من خلال هذا المقطع أن يعمق معاني الحزن والألم الكامن في نفس الراوي للأخذ بالثأر، ومع رحلة الهروب من الواقع استطاع أن يجسد أيضًا حالة الهذيان، واصطدام الواقع بالخيال وهروب الشخصية من هذا الواقع الأليم، وما يعتريها من تداخل الأشياء واختلاطها اختلاطًا غريبًا من خلال تداعي ذكرياتها مع أبيها منذ أن كانت طفلة كما تظهر لنا ملامحها الرئيسة بطريق غير مباشر من خلال التداعيات، كما نلاحظ أن عيشة لا تذكر عن القتل إلا التساؤلات والشكوك بقولها: من الذين قتلوه؟ وذلك على امتداد صفحات الرواية، ليأتي دور الراوي الثاني حسن الأعرج؛ ليضيف للحدث بعدًا آخر حتى تصبح أحداث الرواية أكثر وضوحًا للمتلقي ، ويزيل الغموض عن معرفة القاتل؛ حيث يقدم لنا الراوي مبرراته حول مقتل الحاج منصور أبو الليل وأنه ليس القاتل، وذلك من خلال مقطع حواري بينه وبين الضابط:

"ساعة ما تقتل ما سمعتش أي استغاثة؟لا ،لا أستطيع، لن أبوح بالسر.لا.

بيني وبين العفريت عهد مبرم،لا بد من أحترم هذا العهد الحياة أمنية

ما سمعتش أي صوت؟ لا.

---

[١] **الحداد**، ص٥.

[٢] **الحداد**، ص ٦.

في عيني عيشة ضراعة وتوسل وبحث فاشل عن غرام قديم، لا أستطيع، ما صدرتش أي صرخة ؟ لا.

عندما تصبح التضحية بالحياة هي المخرج الوحيد فلن يكون ذلك إلا لعيشة.قال الضابط: أنت كذاب، صرخت من أعماق اليأس: لا يا أفندم، قال في يأس: إن لم تقل لي على القاتل الفعلي..مرت فترة صمت أنت القاتل الوحيد في هذه الحالة"[١].

يزداد الغموض والشك في الرواية علي لسان حسن الأعرج؛ لعدم معرفة القاتل حيث يصور لنا الكاتب حالة التمزق التي يعيشها ، لما ينتابه من حديث نفس وهواجس تجعلنا نغوص في أغوار الشخصية، وذلك من خلال استخدام تقنيات تيار الوعي التي ساعدت في رسمها بإحكام، كما ركز الكاتب في هذا المقطع على المواءمة بين عالم الشخصية الداخلي والخارجى؛ مما يزيد إحساس المتلقي بما تعانيه من تمزق وألم، واستخدام الكاتب لأسلوب الشك أيضًا في الحوار يزيد من عنصر التشويق لدى القارئ في مُتابعة أحداث الرواية. وزهران يمثل وجهًا من أوجه الصراع والشك أيضًا وهو الراوي الثالث في الرواية، والذى يمثل صورة التمزق والتوتر لمصيره غير المحدد بمقتل منصور أبو الليل بقوله: "لا أحد هنا يجرؤ على قتل الحاج منصور، حتى أنا لا أجرؤ على التفكير في هذا كيف تفكرين ياعيشة؟ .لا بد من توضيح موقفي لها قد تشك في أنني الفاعل، أحبك، يرحمك الله يا حاج منصور، موتك يعني أمرًا واحدًا بالنسبة لي يعني أن مشروعي لا بد وأن يتوقف عامًا، عام الحداد لا بد وأن بياض عيشة سيكون جميلًا، وسط الثوب الأسود، لأقسم لك يا أغلى ما في الحياة أنني لا دخل لي في هذا الموضوع، أن الذين يحبون ياعيشة لا يعرفون شيئًا غير الحب"[٢].

يجسد لنا الكاتب من خلال تيار الوعي حالة زهران بمواجهة مع نفسه؛ حيث تتشابك خيوط الماضي بالحاضر والمستقبل في آن واحد؛ حيث إنه موضع شك في أنه القاتل وذلك لأنه هدده في يوم من الأيام بالقتل إذا لم يوافق منصور أبو الليل على زواجه

---

[١] **الحداد**، ص٨٥.

[٢] **الحداد**، ص١٢٠.

من عيشة ابنته، ويحاول بكل الطرق أن يبحث عن دليل براءته أمام عيشة؛ لكي يتزوجها ، فزهران هو رمز للإنسان الحائر، ولحالات القهر والإحباط والانكسار.

ويأتي دور الراوي الأخير وهو حامد منصور أبو الليل؛ للوصول إلى الحقيقة في معرفة القاتل لتتشابك لديه كل هذه الخيوط المليئة بالشك، فتخرج من عقله ووعيه تجربة يمتزج فيها الخوف والرغبة في الانتقام، ويعبر الراوي بذلك عن قوله: "لم يُعد أمامي إلا أن أكمل السير، حملت بندقيتي وذخيرتي، وخوفي، وسرت في الطريق إلى الساقية، أماتني الخوف، تنفست الحزن الليل الرمادي كردائي سميك ..قتل الحاج منصور أبو الليل، عيشة مصرة على الأخذ بالثأر"[١].

يرصد لنا الكاتب ختام النص الروائي على لسان حامد وذلك من خلال واقعه النفسي، وما يشعر به من ألم تجاه مقتل والده؛ حيث تعيش الشخصية مفارقة بين ما هو صواب وما هو خطأ، بين أخذ بالثأر أو التحرر من هذه التقاليد والعادات، فتُعد شخصية حامد ذلك النموذج المثقف المتعلم الذي يقع في حيرة، ولكن مع إلحاح أخته عيشة على الأخذ بالثأر ينصاع إلى تلك العادات، ويحمل بندقيته في الطريق إلى الساقية ظنًا منه أن القاتل هو عفريت عبده الفلاح، عبده الذي انتزع منه منصور أبو الليل الأرض، ثم قتل عند الساقية، ولم يعرف من القاتل. وهنا يختم الكاتب الرواية على لسان حامد دون معرفة القاتل، ويترك النهاية مفتوحة للقارئ، وينجح القعيد من خلال استخدام تُعدد الرواة أن يطلعنا على شخصية منصور أبو الليل محور الأحداث حيث لم يخصص لها الكاتب فصلًا، وهي بذلك تُعد سمة وأسلوباً اتخذه الكاتب في معظم رواياته كرواية الحرب في بر مصر؛ حيث لم يخصص لمصري فصلًا أيضًا.

ونلاحظ ذلك في رواية أخبار عزبة المنيسي نتعرف صابرين محور الأحداث من خلال تيار سرد الشخصيات الأخرى في الرواية، كما نحاول أن نتعرف مسيرة الحدث الروائي في قسمة الغرماء من حيث تُعدد الرواة، فهي رواية متشابكة الأحداث توضح وجوه من رحلة التعب المصري تطل علينا عبر أصوات الرواة من خلال الأزمات التي تعيشها أشخاص الرواية: كالخوف، والحرمان، وتردي الأوضاع

---

[١] **المصدر السابق**، ص ١٧٢.

الاقتصادية الذي يؤدي بدوره إلى انحدار القيم والمبادئ والعوز والحاجة إلى المال، ويتم طرح تلك الأحداث على لسان سبعة من الرواة، ويبرز لنا ماجد وعلاقته بالشخصيات الأخرى، ويوضح الكاتب ذلك من خلال الصراع بين الماضي والحاضر في لحظة شعورية واحدة، ويبرز ذلك بقول ماجد: "الوقت بعد الضهر بقليل، كنت في طريقي إلى أبلة مهرة، مشوار أول كل شهر، الذي أقوم به من شبرا بالقرب من موقف أحمد حلمي، مشوار مصيري بالنسبه إلينا معًا؛ لأنني أعود بمصروف الشهر الجديد، وهو المبلغ الكبير، أكبر مبلغ نراه بأعيننا"(١).

يكشف لنا الكاتب عن مَأْساة ماجد محور الأحداث وعن ضيقه بالواقع المعاش على الرغم من أنه شاب متفوق في كليه الهندسة إلا أنه شخص مهموم ومنعزل عما حوله، وترجع أزمته النفسية من بداية هجرة والده ومنذ بداية الهجرة تتطور لنا أحداث الرواية، وفي أثناء ذهابه في الطريق إلى مهره صديقة والده لأخذ المال يمرعلى زميله إكرامي: "سأمر في طريقي على زميلي إكرامي الذي يسكن في مدينة نصر؛ كي أخذ منه الأمانة لا بد من ردها له في طريق عودتي"(٢).

يجسد يوسف القعيد عرض الأحداث التي يعيشها ماجد في الوقت الحاضر بتقنية تيار الوعي وذلك أثناء سيره إلى زميله إكرامي:"فحين يجتمع للشخصية انتماؤها لأقلية مهمشة، والفقر، والعوز، والجوع ويسيطر الضياع؛ نتيجة تخلي الأب عبود عنه وعن أمه مرام، وهجرته إلى الخارج دون أن يعرف شيئًا عنه، حين يفتقد كل ما يمثله الوطن، والبيت من: الدفء، والأمان، والخصوصية، وحين يرى في كليته وبين أصدقائه وفي المجتمع من حوله كل المغريات التي يفتقدها يصبح منتهى أمله

---

(١) **يوسف القعيد:قسمه الغرماء، ، رواية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ،٢٠١٣. ص٥

(٢) **المصدر السابق**، ص ٦

مشاهدة فيلم غير أخلاقي يهرب فيه من عالم لا يأمن فيه يومه أو غده، يراهن على اللحظة المعيشة فقط، والتي يقتنص فيها أي متعة حتى وإن اتسمت بالعبثية"[١].

ويعمق الكاتب هذا المفهوم من دهشة ماجد عما حوله من مغريات، وعن ما يعيشه صديقه من مظاهر اجتماعية مرفهة، ولا يستطيع إخفاء دهشته عند ذهابه إلى بيت صديقه، ويصور الراوي ذلك على لسان إكرامي بقوله:

"لم يستطع ماجد إخفاء دهشته، بلع ريقه أكثر من مرة، جعل التحديق عينيه أكبر ما في وجهه، وأذناه طالتا، كان يقاوم الاهتمام. ولكنه لم يقدر.لحظه دخوله غرفتي.كان الكاسيت يدور بأغنية كنت قد نسيتها شغالة عندما خرجت لمقابلته.أغنية عن الأكل،عالم من الأطعمة والمأكولات والمشروبات كل ما يدخل إلى المعدة، ما أكثره في بيتنا"[٢].

ويكمل الكاتب رصد المتناقضات التي يشاهدها ماجد وذلك من خلال سيره في الطريق إلى مهرة؛ حيث إنه دائمًا مايشاهد رجلًا ضخمًا على باب العمارة ذا لحية طويلة، ولا هو بواب، ولا غفير يلقي عليه التحية بقوله: سعيدة ياشيخ، ويطلق عليه ماجد المجذوب الحارس. ويكشف الكاتب عن شخصية المجذوب الحارث المسمى بالجنرال عفارم بقوله:

"يقولون عني. يحكون.يروون.أنني قررت الانتقال من منصة القاضي إلى المحاماة.الي القضاء الواقف.حتى أكون حرًا في مُتابعة نور العين وملاحقتها، والزواج بها إن كان ذلك ممكناً"[٣].

ثم يكشف الكاتب اللثام عن شخصية مهرة من خلال وعي الشخصيات، فيراها عبود جرجس بأنها: "أجدع من أي رجل عرفته، يمكن الاعتماد عليها في مواجهة الأزمات، لو كان ممكناً أن يحدث الاقتراب المستحيل بينها وبين ماجد ومرام. تبدأ

---

[١] د.أماني فؤاد: **بنية الانفصالات في سردية قسمه الغرماء ليوسف القعيد**، بحوث ومقالات،دار المنظومة الهيئه المصرية العامه للكتاب،٢٠١٠ المجلد ٤، العدد ٤، ص ١٧٦.

[٢] **قسمة الغرماء**، ص٢٧.

[٣] **قسمة الغرماء**، ص ٥١.

أسماؤهم الثلاثة بحرف الميم. وما أكثر الحواجز بينهم، لم أتمكن من جعلها جزءًا من حياتنا، نفور مرام منها لم يكن طبيعيًا، تلاقيهم يطمئنني على ماجد قبل سفري وخلاله وبعده"[١].

ونجح الكاتب في تعميق صورة الخوف لدى مرام من مهرة؛ وذلك بسبب الواقع الأليم الذي تعيشه منذ هجرة زوجها، ويصبح ماجد بذلك محور حياتها، فهذا الخوف إنما صورة واقعية لما تعيشه مرام، وهذا تعبير عن ذاتها وإحساسها، فهي دائمًا لديها خوف من المجهول، ومن مهرة، وتتضح نظرتها وخوفها من مهرة في نهاية الرواية؛ لتكشف عن العلاقة الآثمة بين ابنها ماجد ومهرة.

فشخصية مهرة هي الفنانة التي التحقت بالعمل كمذيعة في التلفزيون، ثم تطل الكارثة، وتعتزل مهرة الفن، وتخسر تحويشة العمر في مغامرة توظيف الأموال بقولها": لا أستطيع الإمساك باللحظة التي بدأت فيها الكارثة، وأطلت المصيبة، صديقتي الفنانة الفاتنة التي لم يكن لها حديث سوى عن جمالي، كانت هي السبب حدثتني في سهرة جميلة عن شركات توظيف الأموال، وعن المزايا الرهيبة والمكسب الذي يصل إلى الـــ٥٠ بالمائة من أصل المبلغ سنويًا، لم استشر أحدًا، ولا حتى مصطفى جمعت تحويشة العمر، وكل ما أملك "[٢].

مصطفى هو زوج الفنانة مهرة الذي يحال إلى الاستيداع العسكري، ويصور الكاتب هذه المَأْساة على لسان مصطفى بقوله:"ملأت أذني وعودًا عن قيادات كبرى، سمعت منهم كلمات محددة: أنتظر ولا تخبر أحدًا، حافظ على شمعتك؛ حتى تظل منوّرة، أنتظرت، نفّذت ما طلبوه مني، أليس الهدف مصلحتي؟ أنتظرت حتى صحوت صباحًا لأجد نفسي في الشارع، اليوم الثاني بعد فصلي. أو ما يسمونه في أدبياتهم: "إحالتي إلى الاستيداع" أي تحويلي الي رجل زائد عن الحاجة"[٣].

---

[١] **المصدر السابق**، ص ١٢١.

[٢] **قسمة الغرماء**، ص٧٤-٧٥.

[٣] **المصدر السابق**، ص ١٥٨-١٥٩.

يصور الكاتب حالة الإحباط والتمزق النفسي التي تحياها الشخصية جرّاء ما آلت إليه بعد الاستيداع؛ حيث الزهد في الحياة، وأصبح المسجد المكان الوحيد الذي يتردد عليه؛ وذلك لما له من دلالة في الإحساس بالأمان الذي افتقده في عمله، ونجح الكاتب في تصوير ما ينتاب الشخصية من قلق وتمزق؛ لكي يعطي للمتلقي صورة حقيقية وواقعية لبواعث هذا القلق والتمزق في وعيها. وهذه الرواية تقترب من رواية إلى المنار لفرجينيا وولف حيث يغطى الفصل الأول من إلى المنار يومًا واحدًا في حياة أل رامزي، وكذلك الفصل الثالث الذي يشمل أقل من يوم يصطحب الأب ابنه الصغير جيمس وابنته في رحلة إلى المنار، وتقترب هذه الصورة من تناول يوسف القعيد في قسمة الغرماء عند ذهاب ماجد الى أبلة مهرة، ففي أثناء الطريق يتأمل الشوارع من شبرا وحتى حي المعادي مرورًا ببيت زميله إكرامي في مدينة نصر، ويتناول الكاتب هذا الوصف الذي يصل إلى اثنتين وأربعين صفحةً في أقل من يوم، وتستغرق أحداث الرواية يومين.

الخاتمة

وبناء على ما سبق يمكن القول :

_ نجح الكاتب في استخدام تقنية تُعدد الرواة وذلك من خلال كثرة الأصوات؛ حيث أتاح الراوي الفرصة للشخصيات أن تتحدث بلسانها مما أتاح التنوع في العمل الأدبي، وأعطى للعمل الأدبي صدقاً، وواقعية، وقيمة فنية بكثرة الأصوات، وهذه سمة استخدمها الكثير من الروائيين في أعمالهم المعاصرة؛ للتعبير عن مكنون الشخصية.

أمثال فرجينيا وولف.

_ رواية الحرب فى بر مصر كشف الكاتب من خلال تقنية تعدد الرواة عن الصراع الداخلي للشخصيات وموقف كل راو منهم تجاه موضوع مصري الذي استشهد مدافعًا عن الأرض.وأثر هذا الصراع فى نفس الشخصيات الستة .

_شكل تقنية تعدد الرواة فى رواية الحداد حالة من صراع الذاتيات ، للبحث عن القاتل منصور أبوالليل حيث يعتبر كل راو طرفاً فى الصراع ،والمكونة من أربعة رواة عيشة وحامد وزهران الرفاعى وحامد وكانت عيشة أكثر الرواة ألحاحاً فى معرفة القاتل وذلك للأخذ بالثأر.

_صور الكاتب حالة الإحباط والتمزق النفسي التي تحياها الشخصيات فى رواية قسمة الغرماء من خلال حديث الرواة ما آلت إلية حياة كلاً من مهرة وماجد .

المصادروالمراجع

أولاً المصادر:

١. يوسف القعيد: **الحداد،رواية**،منشورات كتاب الطليعة، القاهرة، ١٩٦٩.

٢. يوسف القعيد: **الحرب في بر مصر، رواية** ،دار بن رشد ، بيروت،١٩٧٨

٣. يوسف القعيد: **قسمة الغرماء، رواية** ، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ،٢٠١٣.

ثانياً المراجع:

١. آلان روب جرييه: **نحو رواية جديدة**، ترجمة مصطفى إبراهيم مصطفى، دار المعارف، ط ٢، القاهره، ١٩٩٨

٢. إنجيل بطرس سمعان: **بين الروائي والرواية**، مكتبة الأنجلو، القاهرة، ١٩٧٢، مكتبة جامعة القاهرة.

٣. روبرت همفرى :ترجمة د/ محمود الربيعى :تيار الوعى فى الرواية العربية الحديثة،القاهرة، المركز القومى للترجمة ،د.ط، ٢٠١٥.

٤. طه وادى : الرواية السياسية ، ا الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ،ط١،القاهرة، ٢٠٠٢.

٥. عبدالرحيم الكردي: **الراوي والنص القصص**،دار النشر للجامعات، ط٢، القاهرة، ١٩٩٦.

٦. فدوي مالطي دوجلاس، **من التراث إلى ما بعد الحداثة**، المركز القومي للترجمة، ط٢٠٠٢،٩

ثالثاً: بحوث ومقالات

١. أماني فؤاد: **بنية الانفصالات في سردية قسمه الغرماء ليوسف القعيد**، المصرية العامه للكتاب، بحوث ومقالات،دار المنظومة الهيئه المصرية العامه للكتاب،٢٠١٠ المجلد ٤، العدد ٤، ٢٠١٠